

اكتشاف تاريخي جديد

يؤكد الارتباط بين التسميتين: سرياني وآشوري

بقلم: أفرام بار يعقوب

ترجمها عن الهولندية .. سعيد لحدو

كتابة على صخرة عمرها ٢٨٠٠ سنة ألفت الضوء من جديد على المصطلح آشوري (Assyrian) والعلاقة بينه وبين المصطلحات سورويو (Suroyo) وسوريويو (Suryoyo) وأسوريو (Asuroyo)، حيث يرى البروفيسور روبرت رولينغر أن اللغز قد حُلَّ أخيراً. فالمصطلحات سورويي (Suroye) أو سورويوي (Suryoye) لا تعني سوى الآشوريين (Assyrian). وذلك في حديث له لـ: Hujada.com. لكن الدكتور أسعد صوما أسعد لديه اعتراض على ذلك. الصخرة المكتشفة مع الكتابة الهامة وجدت مؤخراً في جنوب شرق تركيا وبالتحديد في (y،Cinek) بالقرب من مدينة أضنة.

يقول الأثاريون أن هذه الكتابة تعود إلى العام ٨٠٠ قبل الميلاد. مما يعني أن عمرها ٢٨٠٠ سنة. وما يلفت النظر بهذه الكتابة أنها وجدت بلغتين: الفينيقية، واللوفيان- الحثية.

اللغة الفينيقية التي لم يعد أحد يتحدث بها اليوم كانت في ذلك العهد لغة الفينيقيين الذين كانوا يتعاطون التجارة على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض

المتوسط. أما اللوفيانية-الحثية فهي لغة أخرى ميتة كان يتحدث بها سكان الأناضول، إذ حلت محلها اللغة الآرامية حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد. وقد تمت ترجمة الكتابة بنجاح من قبل الأثاريين وفيها يظهر أن الملك المحلي أوركي (Urikki) من منطقة (y،Cinek) يتحدث عن علاقته مع الإمبراطورية الآشورية. في الكتابة الفينيقية وردت التسمية آشور بالصيغة (Assur) بينما في النص اللوفاني، والذي هو ذات النص الفينيقي، وردت التسمية ذاتها باللفظ سور (Sur). هاتان اللفظتان اللتان كان يقصد بهما آشور (Assyria) جذبتا انتباه الباحثين وأوجدتا نهاية للجدال الذي يجري حول التسميتين: آشور (Assyria) وسوريا (Syria). مجلة (دراسات الشرق الأدنى) (Journal of near Eastern Studies) الصادرة في تشرين الأول ٢٠٠٦ وفي موضوعها الرابع المنتشي بروح الاحتفال كتبت مهلة أن البروفيسور روبرت رولينغر من جامعة ليوبولد – فرانزيس (Leopold- Franzes) في إنسبروك (Innsbruck) في النمسا أكد أن الكتابة على صخرة (y،Cinek) أعطت جواباً نهائياً على السؤال المثير للجدل منذ القرون الوسطى وبدون أدنى شك تؤكد أن الاسم سوريا Syria هو مجرد نسخة مختصرة من الاسم آشور Assyria.

البروفيسور رولينغر الذي يعتبر أبرز عالم في تاريخ لغات وثقافات الشرق لم يتلق على استنتاجاته تلك من البحاثه الآخرين سوى التعليقات الإيجابية. كذلك الأمر من المجتمع الآشوري الذي طالما تجادل حول هذا الأمر. وقد نحي البروفيسور رولينغر كل الأسئلة الأخرى فيما يتعلق بهذا الأمر جانباً. ويصرح البروفيسور رولينغر لـ Hujada.com: "باعترادي سوف يضع هذا حداً لكل النقاشات حول موضوع التسمية. إنني متأكد ١٠٠% لأنها كتبت بوضوح تام في النقش. لقد كان من حسن حظنا أن وجدت الكتابة بلغتين: الفينيقية من جهة واللوفيانية - الحثية من الجهة الأخرى. واضح إنه نقش مزدوج اللغة. في النسخة

الفينيقية وجدنا كلمة آشور في شكلها الأصلي مع (آ) A في البداية على هذا الشكل (Assur). أما في النسخة اللوفيانية للنص نجد الكلمة ذاتها ولكن بدون حرف البداية (آ) A أي سور (Sur). وهكذا فالإسم آشور يحمل حرف البداية (آ) الذي فقد في النسخة اللوفيانية. وبالطبع كلتا التسميتان آشور (Assur) وسور (Sur) تشيران إلى الإسم ذاته وتعنيان آشور (Assyria). الفارق الوحيد هو استعمال اللفظ المختصر من كلمة آشور (Assyria) في النص اللوفيانى. البروفيسور رولينغر أوضح أن اليونانيين في عام ٨٠٠ قبل الميلاد كانوا على اتصال مع ثقافات مختلفة في الشرق الأوسط. واستخدموا اللفظ سور (Sur) بالصيغة اليونانية حيث تحورت اللفظة إلى سوريا (Suria). هذه التسمية التي مازالت حتى يومنا هذا تستخدم تحت اسم سوريا (Syria). نتائج هذا الاكتشاف وتبعاته سوف تعني الكثير بالنسبة للباحثين وللأشوريين على السواء. البروفيسور رولينغر راهن على تأثير هذا الاكتشاف على الوضع في أيامنا هذه.

ويتابع قوله: "دعنا نقول أن هذه ماهي إلا مساهمة أوضحت من أين جاء هذا الاسم. ومن خلالها وُضعت نهاية للجدال الطويل حول العلاقة بين المصطلحين: أسيريا Assyria وسيريا Syria. كيف سيواجه المجتمع الآشوري هذه المعلومة الجديدة ونتائجها الممكنة؟ لا أدري بعد.. ولكن يجب أن ننتظر ونرى ما الذي سيحدث". هكذا أبدى البروفيسور ملاحظته. فماذا ستكون تبعات استنتاج البروفيسور رولينغر فيما يخص آشوري اليوم؟ بقدر ما يمكننا التذكر كان كلا المصطلحان سوريوي (Suroye) و سوريويي (Suryoye) واردين ومستعملين في لهجتنا الغربية. أما في لهجتنا الشرقية فقد استعمل سورايا (Suraya) وسوريايا (Suryaya). وكلا الشكلان من اللفظ الشرقي والغربي يتطابقان مع اللفظ سور (Sur) المكتشف في كتابة (y،Cinek). والذي يعني آشور (Assyria) كما سبق. هل يمكن أن تكون الألفاظ ، Suraye ، Suryaye ،

Suroye ، Suryoye تعني جميعها آشور (Assyrian)؟ وهل كان لدى الحركة الآشورية (الآشورية) الاستنتاج الصحيح عندما ربطت بين هذه الأسماء منذ البداية؟ البروفيسور رولينغر نفسه لا شك لديه في هذا الارتباط. ويقول في هذا الصدد: "إنني مقتنع تماماً أن هذه التسميات جميعها تعني آشور (Assyrian) . وعلم اللسانيات يوضح أساس منشأ الكلمة.". ويؤكد البروفيسور أنها لفظ مختصر من كلمة آشور (Assyria) ثم يضيف: "... بالطبع في هذه المنطقة من كيلىكيا وشمال سورية وبالضبط المرحلة التاريخية التي نتحدث عنها (حوالي ٨٠٠ ق.م.) كان هناك آشوريون وكثير من الآراميين واللوفيانين(الحثيين) واليونانيين. وبالطبع فقد استخدم الآراميون هذا التعبير للتدليل على آشور(Assyria)."

ويتابع البروفيسور رولينغر: "... على العموم يجب أن نفرق بين أمرين: الأول هو المستوى اللغوي لمنشأ التسمية. والثاني هو الهوية التي يعبر عنها بالتراث الثقافي والعرق والجنس وأشياء أخرى ذات علاقة. وهذه الأشياء الأخرى هي من الصعوبة والتعقيد بمكان لكي تتم دراستها وبحثها. ولكن ما يخص التسمية فهي الآن واضحة كلياً". بحسب هذا الباحث الفذ. ولكن الدكتور أسعد صوما أسعد، أستاذ السريانيات في جامعة ستوكهولم ليس متأكداً من صحة ذلك. والسريانيات هي تسمية عامة لدراسات الكنائس السريانية ولغتها وثقافتها. ومنذ مدة طويلة والدكتور أسعد يدافع عن الهوية السريانية- الآرامية لشعبنا رافضاً الآشورية كهوية لنا. ورغم موقفه الرافض هذا وبعد أن قرأ نص البروفيسور رولينغر، بدا الدكتور أسعد حاضراً الآن لقبول فكرة أن صلة ما تربط بين التسميات سورويي (Suroye) وسورويوي (Suryoye) وأسورويي (Asuroye). ويقول تعليقاً على هذا الاكتشاف: "قد يكون من الصحيح ١٠٠% أن سورويو (Suryoyo) وسورويوي (Suroyo) قد اشتقت

من كلمة أسورويو (Asuroyo) آشوري. ولكن قد يتم في لحظة ما في المستقبل اكتشاف أو ظهور إثباتات أخرى". ويتابع روايته بالشرح أن هذه النظرية استخدمت لمدة طويلة ومن أشخاص عديدين كدعاية لأصل كلمة سورويي وسورويوي مع نقص الأدلة التاريخية قائلاً: "جميع الكتاب السريان عبر الزمن وبتوافق الجميع ذكروا أن كلمة سورويوي Suryoye جاءت من اسم شخص هو سورس Sures أو سيرس Syres. ونحن في الواقع لم نعثر على تاريخ سورس/سيرس هذا. لذا فهذا كلام غير علمي وبإمكان الفرد اعتبارها حكاية أو أسطورة. وهناك الكثير من الحكايات والأساطير التي ابتدعها الإنسان لتفسير بعض الأمور".

ويرى الدكتور أسعد أن الإنسان يجب أن يفرق في الوقت ذاته بين تسمية شعب وبين الهوية العرقية لذلك الشعب. وباعتقاد الدكتور أسعد أن جميع الكنائس السريانية الأم Syriac ومنذ القرن الثالث بعد الميلاد ارتبطت مع الآرامية. هذا ما يمكن ملاحظته في كتاباتهم. ومثال على ذلك القديس مار أفلام المشهور. إذ كتب في القرن الثالث وصفاً للمفكر برديسان على أنه فيلسوف الآراميين. وفي الوقت ذاته يرى أن هذا المنهج لا يظهر فقط في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ولكن في الكلدانية والنسطورية أيضاً. هذه الظاهرة درسها الكاتب الآشوري يوحانون قاشيشو الذي كتب عن عراقية إيمان الكنائس الأم التي تأثرت بالوصف السلبي للآشوريين في التوراة. فالعهد القديم كتب من قبل اليهود الذين كانوا يرون الآشوريين كأعداء ومن خلال هذه النظرة تحدثوا وكتبوا عنهم بصورة سلبية. وهذا هو السبب في أن الكنائس الأم المتأثرة بقوة بالتوراة اختارت رفض اسمها القديم الآشوري Assyrian وارتبطت بالاسم الآرامي الذي كان له وقع إيجابي في الكتاب المقدس. ورغم أن الدكتور أسعد يقر بأن كلمة سورويي (Suroye) تعني آشوريين (Assyrian) لكنه يظل متحفظاً في التعميم بحيث لا يحبذ الذهاب

أبعد من الجانب اللغوي إذ إن التسمية قد تحمل دلالات مختلفة في المراحل التاريخية المختلفة. ويقول بهذا الشأن: "... إنه ليس من الصحيح في يومنا هذا أن كلمة سورويي (Suroye) أو سورويوي (Suryoye) يمكن ترجمتها إلى كلمة آشوري (Assyrian) لمجرد أنه منذ مدة طويلة كانت كلمة سورويي (Suroye) قد جاءت من كلمة أسورويي (Asuroye). نحن يجب أن ننظر إلى المعاني التي حملتها الكلمات في العهود التاريخية المختلفة. لا يمكننا اليوم استعمال ذات الكلمة بذات المعنى الذي كانت تدل عليه قبل ٢٦٠٠ سنة". الإلحاح بالسؤال يجعلنا نظن أن الدكتور أسعد يعتقد بأننا ننتمي إلى العرق الآشوري رغم أنه يظل يشدد على أن يبقى ذلك في نطاق ضيق. وفي هذا المنحى يقول: "الآشوريون-الكلدان-السريان في العراق وبخاصة أولئك الذين في شمال العراق لهم جذور آشورية. الآشوريون القدماء لم يعودوا موجودين لأنهم أبيدوا، ومن نجا منهم اندمج مع الآراميين. اليوم لا يوجد آشوريون بعد، لا في اللغة ولا الثقافة ولا التراث ولا الجنس. لقد سموا أنفسهم آراميين. ومع الزمن نسيوا جذورهم الآشورية". هذا ما يقوله الدكتور أسعد الذي يعرف نفسه بلغته الأم سورويويو Suryoyo أي آشوري Assyrian. باحث آخر لا يتفق مع الدكتور أسعد هو زاك شيري Zack Cherry الذي يسمي نفسه آشوري والذي يعد للدكتوراة في حقل الآشوريات في جامعة أوبسالا في السويد. علم الآشوريات هو اسم مشترك للدراسات التراثية والثقافات القديمة في الشرق الأدنى. وبعكس الدكتور أسعد فإن الباحث زاك شيري يتفق مع استنتاج البروفيسور رولينغر فيما يتعلق بالارتباط بين الكلمات سوريا (Suria) وآشور (Assyria) وكذلك سورويويي (Suryoye) وسورويي (Suroye) والتي تحمل ذات المعنى الذي هو آشوريين (Assyrian). وهنا يقول الباحث شيري: "ما أريد التأكيد عليه هو أن أجدادنا الآشوريين لم يأتوا من خارج إطار شعبهم ولغتهم بفرضية سورايب

(Suraye) أو سورويي (Suroye). وكمثال على ذلك لغة اللوفيانيين. حيث أن من خلالها سموا أنفسهم مرة سورايي (Suraye) وأخرى سورويي (Suroye) عوضاً عن آشورايي (Ashuraye). وسبب التبدل في اللفظ أن تحول آشورايي إلى اللفظ سورايي أو سورويي يمكن إثباته في اللغة الآرامية حيث أن الملك الآشوري ولأسباب استراتيجية وبشكل طوعي تقبل اللغة الآرامية وجعلها في مستوى اللغة الإمبراطورية الآشورية منذ عام ٩٠٠ قبل الميلاد إلى جانب لغتهم الأقدم التي كانوا يسمونها الآشورية أو الأكادية Akadittu ، Ashuritu ، والتي استطاعت أن تحتويهما". زاك شيري هو حالياً طالب دكتوراه ضيف لمدة عام في معهد الاستشراق في جامعة ليبزغ Leipzig في ألمانيا. قال إنه في أثناء دراسته وجد الكثير من الوثائق والإثباتات التي قارنها ببعضها والتي تؤيد الهوية الآشورية. هذه الإثباتات سيعمل على طباعتها ونشرها في المستقبل القريب. ويرى شيري أنه حتى الآن لا يوجد بحث جدي ينتكر للهوية الآشورية. وفي المقابل يوجد كثير من الأبحاث التي تؤكد هذه الجذور. وهكذا يلتقي الباحث شيري مع البروفيسور رولينغر ويتفقان على الترجمة الصحيحة للتسمية سورويي، سورويويو أو سورايا، سورايا والتي تعني جميعها آشوري (Assyrian). فقط الدكتور أسعد متفق مع المعنى اللغوي الأصلي ولديه عدد من الأفكار فيما يخص الشرح الموسع للعلاقة بين مفاهيم مثل سورويي (Suroye) وأسورويي (Asuroye) ومن حيث المبدأ فإن ما يثير العجب أن الدكتور أسعد بالرغم من سلوكه وتحفظه السابق بهذا الشأن فإن الإثبات الجديد مرحب به ومقبول حول هوية شعبنا. ولكي نصل إلى اتفاق حول هذا الموضوع الواسع والشائك سيكون الدكتور أسعد مثلاً يحتذى في قبول الإثباتات الجديدة عوضاً عن رفض كل ما لا يتفق مع الأفكار المسبقة عن الآشورية (Assyrian) أو السريانية (Syriac). معلمنا القومي نعوم فائق لم تكن لديه أية مشكلة في الاعتراف بأصوله الآرامية أو

الآشورية. لهذا يتساءل المرء: لماذا هي بالنسبة لنا في الوقت الحالي مشكلة إذا أردنا احتضان بكل فخر واعتزاز الاسم الآرامي كما الآشوري؟ في الوقت الذي كلا الاسمين يرمزان إلى أعظم وأقدم حضارة عرفت البشرية.

